مثلا وتبدل منه قرية اي مكة والمراد اهلها كانت آمنة اي ذات امن ويامن به اهلها في زمن الخوف قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم والامن في مكة كان كذلك لان العرب كان يغير بعضهم على بعض دون اهل مكة فانهم كانوا اهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونه ويخصونهم بالتعظيم والتكريم مطمئنة اي قارة باهلها لا يحتاجون فيها الى النجعة والانتقال بسبب زيادة الامن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله الناس عنها ووجود ما يحتاج اليه اهلها فان قيل الاطمئنان هو الامن فيلزم التكرار اجيب بان قوله تعالى امنة اشارة الى الامن وقوله تعالى مطمئنة لا يحتاجون فيها الى النجعة كما مر وقيل اشار تعالى بذلك الى الصحة لان هواء ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فلذلك اطمانوا اليه واستقروا قالت العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية يأتيها اي على سبيل التجدد والاستمرار رزقها رغدا اي واسعا طيبا من كل مكان بر وبحر بتيسير الله تعالى وكما كانت النعمة تجر الى البطر عاقبه تعالى على ذلك بقوله تعالى فكفرت بانعم الله اي الذي له الكمال كله والانعم جمع نعمة قال الزمخشري على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم والنعمة يقال هذه ايام نعم وطعم فلا تصوموا وقيل جمع نعمة مثل باس وابوس فان قيل الانعم جمع قلة فكانت تلك القرية كفرت بانواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم لم يقل تعالى كفروا بانعم عظيمة فاستوجبوا العذاب اجيب بان المقصود التنبيه بالادنى على الاعلى فان كفران النعم القليلة لما اوجب العذاب فبكفران النعم الكثيرة اولى وبان الله تعالى انعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في ايذائه فاذاقها الله اي المحيط بكل شيء لباس الجوع بعد رغد العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل ان القرية غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة والخوف بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم تنبيه استعير الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له ولو نظر الى المستعار لقال ضافي الرداء اي

سابغة

سابغة ومعنى البيت اذا ضحك المسؤول ضحكة ايقن السائل بذلك استغلقت رقاب ماله ويعطي بلا خلاف وقد ينظر الى المستعار له كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار ولو نظر الى المستعار منه لقال تعالى في الاية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير صافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهذا نهاية ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى

اذا ما الضجيع ثنى جيدها ... تثنت عليه فكانت لباسا

ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر

وقد لبست بعد الزبير مجاشع ... لباس التي حاضت ولم تغسل الدما

كان العار لما باشرهم ولصق بهم كانهم لبسوه وقوله تعالى فاذاقهم نظير قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ونظير قول الشاعر

دونك ما جنيته فاحس وذق

وقوله تعالى بما كانوا يصنعون يجوز ان تكون ما مصدرية اي بسبب صنعهم او بمعنى الذي والعائد محذوف اي بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على اهل البلد وقيل قرية نظيره قوله تعالى او هم قائلون بعد قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال تعالى ولقد جاءهم اي اهل هذه القرية رسول منهم من نسبهم يعرفونه باصله ونسبه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوه فاخذهم العذاب قال ابن عباس يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وهم ظالمون اي في حال التباسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى فكلوا اي ايها المؤمنون مما رزقكم الله قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم فاذن في الحمل اليهم فحمل الطعام اليهم فقال الله تعالى كلوا مما رزقكم الله قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الاية انما حرم عليكم الميتة يعني انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهي الميتة والدم ولما امرهم تعالى باكل الحلال امرهم بشكر النعمة بقوله تعالى واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون تنبيه رسمت نعمة بالتاء وقرا ابن كثير